

التّحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ و النشر يقدّم

:: تفريغ الخطبة المرئية ::

قصة طالوت دروس وعبر

للشيخ

أبو طلال القاسمي

- رحمه اللّه -





المدّة : 41 دقيقة

إنتاج ونشر : سرايا الأندلس

مؤسسة التحايا تقدم :

تفريغ الخطبة المرئية بعنوان :

قصة طالوت دروس وعبر

للشيخ:

أبو طلال القاسمي

- رحمه الله -

الحمد لله ، كل شيء خاشع له ، كل شيء قائم به ، غنى كل فقير و عز كل ذليل

سبحانك ربي معبوداً و خالقا ، سبحانك كل غيب عندك شهادة ، وكل سر عندك علانية

سبحانك لا يزيد في ملكك من أطاعك ، و لا ينقص من سلطانك من عصاك

سبحانك لا يفلتك من طلبت ولا يرد قضاءك من سخط أمرك سبحانك لا منجى منك إلا إليك

نحمده سبحانه و نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوب إليه ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله فلا مُضلَّ له و من يضلل فلا هادي له ، ومن يُهِن الله فما له من مكرم .

وأشهد أن لا إله إلّا الله .

إلهي .. كَم مِن زَلَّةٍ لِي في البرايا ••• فعَضَضتُ أَناملي وَقَرَعتُ سِنّي

إِلَهي لا تُعَذِّبني فَإِنّي ••• مُقِرٌّ بِالَّذي قَد كانَ مِنّي

يَظُنُّ الناسُ بي خَيراً وَإِنّي ••• لَشَرُّ الخَلقِ لو لم تَعفُ عَنّي

ونشهد أن أستاذنا وحبيبنا ومعلّمنا و قدوتنا وقائدنا محمّداً عبد الله ورسوله وصفيّه من خلقه وحبيبه ، ونبيّه و نجيبه وبعيثه و صفيّه بلّغ الرسالة و أدى الأمان و نصح للأمة

اللّهم صلّ وسلّم وبارك عليه صلاةً تُرضيكَ و ترضيه وترضى بها عنّا يا رب العالمين، ثمّ أما بعد:

إخوة الإسلام ، وأمّتنا تستعدّ كي تقوم بدورها الواعد ،الذي ناطها به ربّنا عزّ وجلّ .

ما لنا نحن كذلك ، لا نستزود من الزاد المتنوع الوفير من كتاب ربّنا ، من رائدنا النّاصح بعد وفاة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، من مدرستنا التي نتعلّم منها ونأخذ منها توجّهات و توجيهات حياتنا كلّها ، ما لنا إخوة الإسلام! وكتاب ربّنا عزّ وجلّ ليس مجرّد كلامٍ جميلٍ يتلى ولا مجرّد سجلٍّ لحقائق تاريخية فقط ، وإنّما هو سجلٌّ حافلٌ وإنّما هو مدرسة موجّهة ، حيّة ، ينبغي عباد الله ونحن بوصفنا أمّة الإسلام وارثي العقيدة الإسلامية أساتذة الدّنيا ، بوصفنا كذلك ينبغي أن ننظر إلى كتاب ربّنا كتوجيهاتٍ حيّة تتنزّل اليوم كي تعالج قضايا اليوم وغداً حاضرنا ومستقبلنا.

هكذا عباد الله ينبغي أن ننظر في كتاب ربّنا حينها نرى كلام ربّنا عزّ وجلّ كأنه يقول لنا هذا عدوّكم فاتخذوه عدوّاً وهذا صديقكم فاتخذوه صديقاً ، هكذا فاستعدّوا وكذا فاعتبروا هكذا كأنها مرآة يبيّن لنا فيه ربّنا عزّ وجلّ مزالق الأمم السابقة فلا نقع في أخطائهم .

والقرآن العظيم مليءٌ بقصص عظيمة فيها كثير العبر و قد أكثر القرآن من ذكر قصص بني إسرائيل ، لماذا ؟ لأسباب كثيرة : منها أن الله عزّ وجلّ علم أن من بين أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم من سيقفون من عقيدتهم ذات الموقف الذي وقفت فيه أو منه أو به بنو إسرائيل تجاه دينهم ، و تجاه أنبيائهم وتجاه عقيدتهم .

...

من هذه القصص نعيش بقلوبنا وعقولنا هذه الخطبة ، يقول الله عزّ وجلّ في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم :

﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم * من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون * ألم ترَ إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ [البقرة: 243-251].

القصة ها هنا عباد الله تروي لنا تجربتين لبني إسرائيل ، التجربة الأولى يراد مغزاها ويراد العبرة منها فقط بغضِّ النظر عن شُخوصها و مكانها وزمانها

﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا ﴾ كأنّها رؤية قلب ، إذن لننظُر إلى هؤلاء الخارجين من ديارهم وهم ألُوف كثيرة أو هم مؤتلفون ومتوافقون على هذا الخروج خرجوا من ديارهم حذر الموت ، مخافة الموت هذه عباد الله توطئة ومقدّمة لكم أمّة الإسلام بين يدي أمر الله عزّ وجلّ للقتال في سبيل الله و الجهاد في سبيل الله يُوطّئ لكم ربّكم عزّ وجلّ بهذه القصّة التي يصحّح بها التصور عن قضيّة الموت و الحياة ، وعن حقيقة الأسباب الظّاهرة للموت والحياة و الحقيقة المضمرة من وراء قضيّة الموت والحياة.

﴿ ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾

خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت لأنه كما قيل في بعض التّفاسير قد كتب الله عزّ وجلّ عليهم الجهاد في سبيل الله ، فظنّوا أن الجهاد يقصّرُ عمراً فخرجوا من ديارهم مخافة الموت ! ، ماذا كانت النتيجة ؟

بذلوا جُهداً كي يتّقوا الموت ها هنا الله عزّ وجلّ فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم ، إذاً جهدهم في اتقاء الموت لم يفدهم شيئاً و أيضاً ما بذلوا جهداً لاسترجاع الحياة كأن العظة و العبرة أن آخذ الحياة هو الله و أن معطي الحياة هو الله ، إن لله ما أخذ وله ما أعطى إذن فلتطمئن النفوس.

هؤلاء قد أماتهم الله عزّ وجلّ ميتة عقوبة كما قال ابن العربي –رحمه الله– : (و ميتة العقوبة بعدها حياة أما موتة الأجل فلا حياة بعدها.)

يقول ابن عبّاس –رضي الله عنهما– : (إن هؤلاء النسل من بني إسرائيل قد أحياهم الله عزّ وجلّ بعدما أنتنوا ولهذا ، الرائحة النّتنة في نسلهم إلى يومنا هذا .) هكذا يقول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

وإنني والله لأشمّ تلك الرائحة من مسيرة كذا وكذا حتّى من أمام التلفاز و نحن نرى هؤلاء يصافحون الدّمى المتحرّكة التي يحركونها كأحجار على رقعة الشطرنج ، بل وأخذوا منهم تلك الرّائحة النتنة التي ولا شك قد شممتموها حينما يرقّعون تلك المصافحات أو الاتفاقات التي يتلوا بعضها بعضاً وفق مسلسل قد أعدَّ سلفاً.

﴿ فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ إن الحكمة الإلهية من وراء الإماتة ومن وراء استرجاع الحياة متحققة و الفضل من الله عز وجل في كلتا الحالتين ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾

ثمّ تأتي العبرة و العظة من هذه القصّة متمثّلة في هذا الأمر الإلهي ﴿ و قاتلوا في سبيل الله و اعلموا أن الله سميع عليم ﴾ كأن هذه العبرة أو هذه التّجربة تقول لنا : طالما أن الحذر من الموت لا يجدي وطالما أن الفزع و الهلع لن يمدّ لي أجلاً و لن يقصّر لي عمراً إذن ﴿ و قاتلوا في سبيل الله و اعلموا أن الله سميع عليم ﴾ لا يُقعدنّ بكم حبُّ الموت أو حبُّ الحياة وكراهيّة الموت عن القيام بواجب الجهاد في سبيل الله ، هذا أمر إلهي ينبغي أن تكون النفوس مطمئنة تجاهه وهي تباشر تكاليف المولى عزّ وجلّ بإقامة فرض الجهاد في أرض الله والقتال في سبيل الله ، ليس في سبيل أي شيءٍ آخر وإنّما هو في سبيل الله ، و اعلموا أن الله سميع عليم يسمع القول و يعلم ما وراءه ، يسمع الدعاء ويستجيب بل ويعلم ما في هذه الحياة وما يحقّق الخير فيها فيأمركم به ، ﴿ و اعلموا أن الله سميع عليم ﴾ و غالباً ما يقترن الأمر بالبذل في سبيل الله مع الأمر بالجهاد في سبيل الله ﴿ و من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ نعم عباد الله ، حيث أن الحياة لن يقدّمها جهادٌ في سبيل الله ولن يؤخرها قتال في سبيل الله ! إذن كذلك المال لن يبقيه و لن يزيده حرصٌ

ولا بُخل ولن ينقصه إنفاقٌ ولا بذل في سبيل الله تعالى وإنّما الله عزّ وجلّ يعرض عليكم هذا العرض ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾

يروي زيد بن أسلم –رحمه الله– أن أبا الدحداح –صحابي جليل– يسمع هذه الآية فيأتي لرسول لله صلى عليه وسلم قال : فداك أبي وأمي يا رسول الله إن الله يستقرضنا وهو غني عنا؟

قال: نعم إنما يريد أن يدخلكم به الجنة.

قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً حسناً يضمن لي ولصبيتي الجنة؟

فقال عليه الصلاة والسلام: نعم.

فقال أبو الدحداح: يا رسول الله ناولني يدك. فناوله النبي الكريم يده ، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى– هبة–

فقال عليه الصلاة والسلام: اجعل أحدهما لله تعالى والأخرى دعها معيشةً لك ولعيالك.

فقال أبو الدحداح: أشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله تعالى، الأجمل الأكبر، وهو حائط فيه ستمئة نخلة. قال عليه الصلاة والسلام: إذن يجزيك الله به الجنة.

يعود أبو الدّحداح مسرعاً إلى أم الدحداح فيناديها وهي بالحديقة : يا أم الدحداح قد أقرضت ربّي الحديقة رجاء الجنّة لي ولكم ، فقالت له أم الدّحداح : ربح بيعُك يا أبا الدحداح بارك الله لك فيما اشتريت ثمّ طفقت المرأة تخرج التمر من أفواه عيالها ومن أكمامهم ويخرجون جميعاً من الحديقة ، فيقول النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم : (كم من عذق رداح و دار فياح في الجنّة لأبي الدحداح).

نعم عباد الله إنه قرضٌ حسنُ المضمون عند الله عزّ وجلّ ولن يضيع . ولهذا أخذ العلماء من هذه الآية بوجوب أن يردّ المستقرض القرض الذي اقترضه ولا يزيد عليه ولو حبّة واحدة وإلّا كان ربا ولا يعطيه على هذا القرض هديّة وإلّا كان ربا إلّا إذا تلك كانت عادة لهؤلاء القوم ، إذا هناك مقدّمات إخوة الإسلام تقول : أن الفزع والحذر من الموت لا يُجدي ، ثمّ أيضاً أن المال لن ينقص بالبذل في سبيل الله عزّ وجلّ وأنّنا جميعاً راجعون إلى الله ، إذن النتيجة المنطقية فلنقاتل في سبيل الله ولنبذل ما عندنا لله عزّ وجلّ ثمّ نحن جميعاً راجعون إلى الله كي نفوز بحياة كريمة ، عزيزة ، طليقة ، شجاعة في هذه الدّنيا ثمّ نفوز برضى الله عزّ وجلّ وبالجنّة يوم القيامة .

أرأيتم شيئاً أكثر من هذا يا عباد الله ؟

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط ﴾ إن الله عزّ وجلّ هو الذي يقبضُ وهو الذي يبسط وليس لعطائه خازن ولا لعطائه حدّ ، ثمّ ﴿ وإليه ترجعون ﴾

أنتم بقضّكم وقضيضكم بمالكم وأموالكم وما تملكون سوف ترجعون إلى الله عزّ وجلّ . إذن ما بال المسلمين لا يقومون بهذا الواجب العزيز الذي دلّنا عليه ربّنا عزّ وجلّ ودلّنا عليه رسولنا صلّى الله عليه وسلّم ؟

ثم تنتقل الآية بعد ذلك كي تبيّن لنا تلك التجربة الثانية ﴿ ألم ترَ إلى الملإ من بني إسرائيل ﴾ الملأ هم الأشراف كأنهم امتلئوا شرفاً ﴿ ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم﴾ أنبياء بني إسرائيل كثيرون!

جاء هؤلاء بعدما شُرّدوا وبعدما أهينوا لمّا حادوا عن أوامر ربّهم لمّا تركوا تشريعات أنبيائهم ذلُّوا وتمكّن منهم أعداؤهم ، تماماً كحالنا نحن هذه الأيام أمة الإسلام ، فكأنما بعضاً منهم قد انتفضوا عقيدةً فجاؤوا لنبيٍّ لهم ﴿ ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ﴾ طلبوا منه أن يدعُ الله عزّ وجلّ أن يرسل لهم ملكاً يقاتلون من خلفه في سبيل الله ، إذن هي انتفاضة عقائديّة إذن هؤلاء كأنما الطريق وضحت أمامهم فليس ثمَّ غبشٌ ولا تلجلج ولا تردّد لا في نفوسهم ولا في قلوبهم ، ليس ثم

غبش أمام أعين هؤلاء وهذا الوضوح تمخض الطريق ووضوح هذا السبيل هو نصف الطريق إلى النصر ،

ولهذا يقول كثير من قادة الحركات الإسلامية هذه الأيّام حينما يغبّشون على المسلمين طريقهم ، حينما يميّعون أمورهم لا بدّ من أن تتضح في نفسك أيها المسلم أنك على الحقّ وأن عدوّك على الباطل ، حينها تكون المُفاصلة التي يتنزّل عندها نصر الله عزّ وجلّ.

هذه حقيقة عباد الله لا بدّ من هذا الوضوح ، لهذا كانت بنو إسرائيل في هذا الوقت الطريق واضحة أمامهم ﴿ نقاتل في سبيل الله ﴾ نبيّهم حصيف يردّ عليهم الرّد اللاّئق بالنّبي : ﴿ قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تُقاتلوا ﴾ ألا يُنتظر وأنتم في ساعة الرّخاء أنّي إذا دعوت الله عزّ وجلّ ففُرض عليكم الجهاد في سبيل الله أن لا تنكلوا وأن لا تنكصوا ؟ نعم ، نفهم من هذا أن الله عزّ وجلّ إذا ما قضى أمراً أو رسوله ما كان لمؤمن و لا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ينبغي أن يقولوا فقط سمعنا و أطعنا ، ها هنا يردّون ردّاً يفيض حماسةً وثورة ﴿ قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ نعم ، إن حرقة في الصدّر لتشتعل في قلب المؤمن وهو يعلم أنه ما أخرج من بلده و من أهله إلاّ لأنه يقول ربّيَ الله و إن جذوةً في الصدّر لتشتعل وهو يعلم أن إخوانه المجاهدين خلف أسوار سجون الظالمين يُسامون سوء العذاب ويُعذّبون في دينهم لله عزّ وجلّ.

﴿ قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾

علموا أن الطريق الوحيد لاستعادة عزهم ومجدهم إنما هو القتال في سبيل الله ﴿ ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ ، وها هنا نطلع على سمة من سمات بني إسرائيل في النكوث بالعهود والنكول عن الوعود هؤلاء بنو إسرائيل ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ﴾ رغم أنها سمةٌ خاصة ببني إسرائيل إلا أنها سمةٌ إنسانية بشريةٌ على كل حال ، يصاب بها هؤلاء الذين لم يبلغوا بعد تلك الدرجة من التربية الإيمانية العالية.

نعم يا ربنا الله عز وجل يصف هؤلاء الذين نكلوا وتولوا عن الجهاد في سبيل الله بأنهم ظالمون

﴿ والله عليم بالظالمين ﴾

نعم؛

- ظالمون هؤلاء الذين يعلمون أنهم على الحق وأن أعدائهم على الباطل فينكصون ويتركون القتال في سبيل الله.
- ظالمون هؤلاء لأنفسهم لأنهم أوردوها موارد الهلكة.
- ظالمون هؤلاء لنبيهم الذي بيّن لهم أن طريق الجِهاد إنما هو طريق العز والنصر والتمكين في هذه الأرض.
- ظالمون هؤلاء لشرعة ربهم وهم يرون هؤلاء الحكّام المرتدين يضعونها تحت أقدامهم ويبدلونها بأحكامٍ وضعيةٍ وضعها بشراً أمثالهم.
- ظالمون هؤلاء لهؤلاء الأسارى خلف أسوار الظالمين ولهؤلاء الثكالى الذين ابتلوا في فلذات أكبادهن الذين يفعل بهم الظالمون الأفاعيل.

نعم ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾

ثم يأتي بعد ذلك النصُ يبين لنا تلك المحاورة التي تبيّن لنا تعنت بني إسرائيل ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ فيتعنتون ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ سبحان الله ، أنتم طلبتم ملكاً من نبيكم فدعى فاستجاب الله لهُ فأرسل لكم طالوت ملكاً ، إيش المشكلة يعني؟ ﴿ أنى يكون له الملك علينا ﴾ كان طالوتُ ليس من نسل الملوك منهم ولا من نسل الأنبياء ولم يكن غنياً وإنما كان فقيراً غير أنهُ كان عالمًا وكان جميلاً قوياً

ها هنا نبيهم يرّد عليهم ﴿ قال إن الله اصطفاه عليكم ﴾ وهذه تكفي ، تكفي أن الله اصطفاهُ عليكم لأنكم طلبتم هذا ولكنهُ يبيّن لهم عبرة أو دلالة هذا الأمر﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ كان أعلمَ بني إسرائيل وكان طويلاً قيل إنه سمي طالوت لطوله وقيل أن هذا الطول كناية عن أفعال الخير كقول الشاعر :

تَرى الرَجُلَ النَحيفَ فَتَزدَريهِ ••• وَفي أَثوابِهِ أَسَدٌ هصورُ.

وَيُعجِبُكَ الطَريرُ فَتَبتَليهِ ••• فَيُخلِفُ ظَنَّكَ الرَجُلُ الطَريرُ.

ها هنا نبيهم يبين لهم تلك العلة التي الله عز وجل – والله سبحانه وتعالى قد قضى هذا واصطفاهُ عليكم – ﴿ وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ ثم ﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء ﴾ ولكننا أمام من ؟ أمام بني إسرائيل!

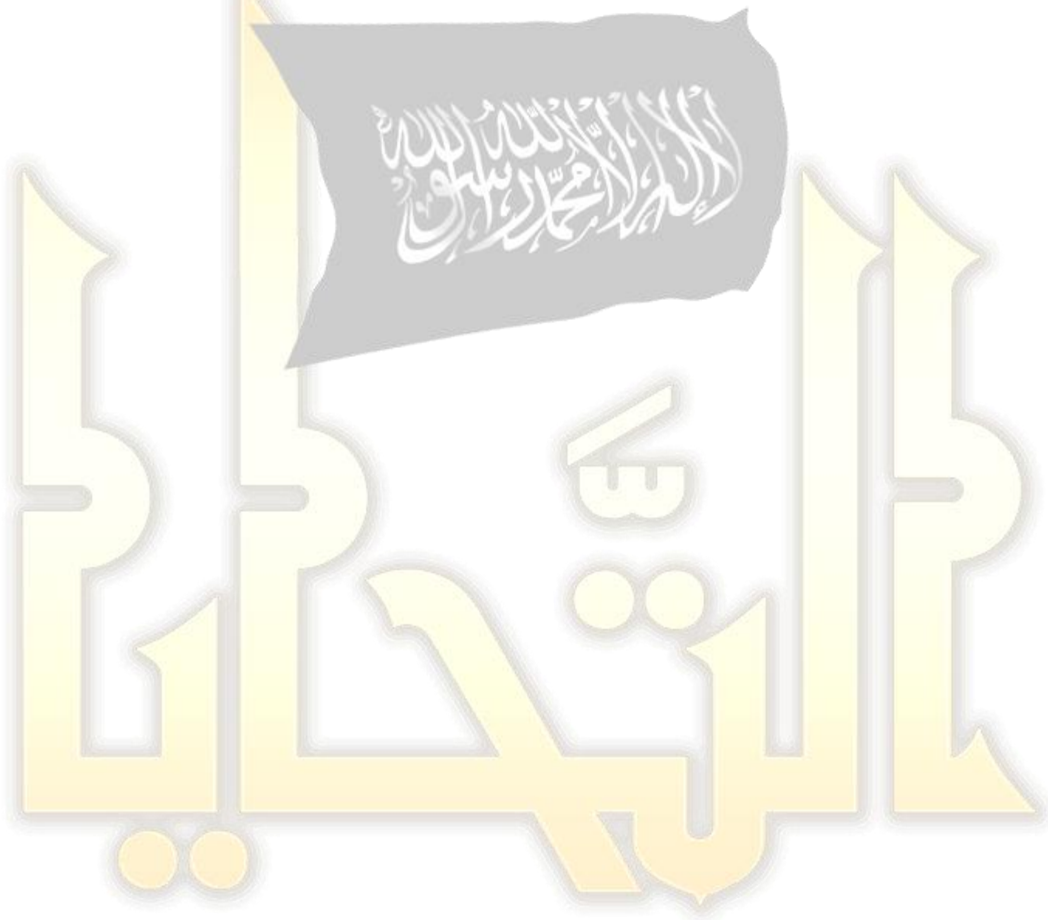
فقال هؤلاء الناس بعد ما علم نبيهم أن هؤلاء لن يؤمنوا إلا بخارقة فجاءهم بالخارقة ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ﴾ التابوت كانوا لما غلبوا أخذه منهم عدوّهم والتابوت فيه بقية من الرضراض " الألواح المكسّرة " التي كسرها موسى عليهِ السلام ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ يأتيكم هذا التابوت ﴿ تحمله الملائكة ﴾ بل وفيه ﴿ سكينة من ربكم ﴾ السكينة مأخوذه من (الفعيلة) وهي السكون والوقار والطمأنينة فتتسكب عليكم طمأنينةً وسكينةً ووقاراً

﴿ إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ معجزةٌ من الله عز وجل لهؤلاء الناس وقد تحققت.

كيف كان موقف بنو إسرائيل مع نبيهم وقائدهم؟ كيف كان موقفهم

وهم ذاهبون لقتال أعدائهم؟

هذا ما ستراه قلوبنا في الخطبة الثانية إن كان في العمر البقية واستغفروا الله إنهُ كان غفاراً.



الخطبة الثانية:

إن حمد الله زيادٌ للنّعم نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفرهُ ونستهديه ونؤمن به ونتوب إليه ونتوكل عليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ومن يهن الله فما له من مكرم وأصلي وأسلم صلاةً وتسليمًا دائمين أكملين على الضحوك القتال نبي المرحمة ونبي الملحمة عليه وعلى آله وصحبهِ ليوث الصّدام ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين و بعد :

نمضي مع طالوت عليه السلام : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر ﴾ وفي قراءة (بنَهْر) و (النَّهْر) و (النَّهَر) لغتان مشتقتان من السعة ومنها النهار ،

طالوت عليهِ السلام ها هنا تتضح لنا تلك الخيرية التي اصطفاهُ الله عز وجل لأنهُ قائد محنّك لم يغتر بتلك الحماسة الظاهرية التي واجههُ بها بنو إسرائيل كم كان عدد هؤلاء الذين لم يتولوا ؟ كانوا 80 ألفا

فصل بهؤلاء الـ80 ألفا فصل بهم وخرج بهم لقتال أعدائهم وهو يعلم أنهُ مقدم على مقاتلة قوم غالبين ، قومٍ جبابرة يملكون العَدد والعُدد أميرهم وملكهم جالوت ظلهُ كما قيل طولهُ ميل وكان يلبس على رأسهِ خوذة تزن 300 مئة رطل ، وقيل أنه كان يهزم الجيوش وحده وكان في 300 ألف وهو يعلم أنهُ خارجٌ بقومٍ قد مرت عليهم الهزائم المرة تلو المرة ،

إذن قوم منهزمون لابد من وجود قوةٍ كاملة في قلوب وصدور هؤلاء يواجهون بها أعداءهم الغالبين الأقوياء ، ماهي هذه القوة ؟

إنها الإرادة عباد الله ، الإرادة على ضبط النزوات والشهوات ، الإرادة على الصمود أمام المشاقّ وأمام الصعاب ، الإرادة على أن يستمر الإنسان في الإبتلاء تلو الإبتلاء هادفًا لا يتزحزح ولا يترجرج ولا يتردد ولا يحيد ، هكذا يريد طالوت عليهِ السلام أن يختبر قومهُ ولا بد من ذلك ، لابد من وضع المجاهدين أمام المحك العملي إن النّية الكامنة لاتكفي عباد الله لا بد من الإختبار ،

ها هنا طالوت عليهِ السلام يختبر قومه ، ما هو هذا الإختبار ؟ كانوا قومًا عطاشى ومرّ بهم على نهرٍ عذبٍ حسنٍ جميل شديد العذوبة ، إذن كي يختبر صمودهم لأنهم لو ضبطوا شهواتهم يكونون على تحمل المشاق والصعاب والقيام بالتكاليف أقدر ، يختبرهم !

﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده ﴾

الإغترافُ هو أخذ الشيء سواء كان باليد أو بالآلة والغُرفة والغَرفة لغتان وقيل الغَرفة باليد الواحدة والغُرفة باليدين ، هكذا جعل لهم هذا الإختبار ، كم عدد هؤلاء الذين نجحوا في هذا الإختبار ؟

حتى لا نغتر بالملاين المسلمين هذه الأيام ، قلنا أنهم كانو 80 ألفا عدد الذين شربوا من النهر 76 ألفا لم يتبقى إلا 4 آلاف فقط لم يشربوا أو شربوا غرفةً واحدة من هؤلاء الـ76 من شرب شرب الهيم ، ولم يرتوِ ! ومنهم من شرب دون ذلك ولم يصمد معهُ إلا 4 آلاف.

ها هنا نقف أمام طالوت – عليه السلام – هل اغترّ بهذه الكثرة ؟! التي ولت وسقطت في الإمتحان ، وقال كيف اواجه إذن ومعي قلة ونكص على عقبية ؟! كلا والله ما نكص ، أم أنهُ قال هؤلاء كثرة وينبغي أن يكونوا في الجيش هكذا تجميع على أي صفة وعلى أي حال ينبغي أن لا نفصل هؤلاء لمصلحة وجود هؤلاء الناس؟ كلا!

لابد من فصل هؤلاء ها هنا أمام القرار الحاسم الجازم من طالوت – عليه السلام – يفصل هؤلاء جميعا وما تردد وما تأخر بهذه الكثرة الكاثرة التي رسبت في الإمتحان وشربت من النهر ﴿ جاوزه هو والذين آمنوا معه ﴾ وما جازوهُ إلا مؤمن ،

لمّا جاوزوا هذا النهر يأتي الإختبار التالي ، هل يكفي اختبار واحد للمجاهدين ؟ كلا.

لابد من اختبارات متعددة الاختبار الشديد الآ لأنهم الآن أمام قوةً كاسرة أمام جالوت وجنوده.

﴿ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ هؤلاء قلةٌ من قلةٍ من قلة ماذا كانت النتيجة ؟! هؤلاء منهم من لا يتصل بربهِ عز وجل فيرى الأمور ماديةً يقيسها بموازين البشر ، لما رأوا القوة العظيمة 300 ألف وهم 4 آلاف وملك أعدائهم هو جالوت الذي يهزم الجيوش وحده إذن ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾

كم عدد هؤلاء الذين قالوا هذه المقولة ؟ كانوا – انظروا عباد الله – كانوا ثلاثة ألاف وست مئة وبضعه عشر ! يقول البراء بن عازب – رحمه الله – : (كنا نتحدثُ أن عدة أصحاب طالوت كانوا كعدة أهل بدر ثلاث مئة وبضعة عشر) أنظروا 313 على بعض الروايات من 80 ألفا هؤلاء { قال الذين يظنون } – أي يتيقنون –

﴿ أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾.

انظروا عباد الله إلى هؤلاء المتصلين بربهم عز وجل ، إلى هؤلاء المتصلين بالقوة الكبرى ، هؤلاء الذين ينظرونَ ويقيسون الأمور بالميزان الحقيقي ، أن القوة بيد الله عز وجل.

﴿ كم ﴾ هكذا على التكثير ، كأنها قاعدة أن تكون تلك الفئة المختبرة التي تتقدم الصفوف لله عز وجل أن يكونوا قلة ، نعم لأن فوجاً من بعد فوج وهؤلاء يرتقون مرتقى الصعب العالي سوف يترنحون وسوف يرسبون ولمن تبقى إلا هذه الفئة القلة القليلة والقاعدة تقول على لسان هؤلاء ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ يكيلون الأمر إلى الله عز وجل ، الأمر بيد الله تبارك وتعالى ﴿ بإذن الله ﴾ ويعللون هذا الأمر ﴿ والله مع الصابرين ﴾.

وقد كان ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده ﴾ – البَراز – هو المكان الفسيح ﴿ برزوا لجالوت وجنوده﴾ ماذا قالوا ؟ ﴿ قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ هكذا ينظرون كأن الصبر فيض من الله عز وجل يسألون الله أن يغمرهم بهِ فينسكب في قلوبهم سكينة وطمأنينة ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا ﴾ – فلا تتزلزل ولا تتزحزح ولا تميل – ﴿ وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ طريقٌ واضحة ، كفرٌ إزاء إيمان ، حقٌ إزاء باطل.

إذن طالما أن الطريق واحدة واضحة لا غبش فيها ولا ترجرج وطالما أنهم يستنصرون الله

فكانوا الذي ظنوه – أي تيقنوه – ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ هكذا يكررها الله عز وجل ﴿ بإذن الله ﴾ إن كنتم تعلمون أن الأمور بإذن الله فازدادوا علما بأن الأمور بإذن الله عز وجل.

﴿ وقتل داود جالوت ﴾ ها هنا ننظر إلى هذه الساحة إلى داوود ، من داود هذا ؟ كان فتىً صغيراً مصفاراً مسقاماً قصيراً أزرق هكذا كانت صفاته – سبحان الله – ماهي العلة التي تقول أن فتى صغير مثل داوود عليه السّلام وهو صغيرٌ قصير أصفر مريض يقتل ، من يقتل ؟ جالوت الذي يهزم الجيوش وحده.

نعم عبرة من ربكم عز وجل أن هؤلاء الجبابرة أن هؤلاء الغشيمون يقتلهم الله عزّ وجلّ بأيدي فتيان صغار إذا أراد الله وقد كان داوود عليه السّلام أعلم بني إسرائيل بالرّمي بالمقلاع ، قيل أنه جاء بحجر فوضعه في(مخلاته) وخرج إلى جالوت ، فلمّا تقدّم لجالوت نظر إليه جالوت و قال له : أنت أيّها الفتى الحقير تخرج إليّ ؟ ، قال : نعم . قال : هكذا كما تخرج إلى الأسد أو إلى الكلب ؟ ، قال : نعم و أنت أهون .

ها هنا غضب جالوت فنزل إليه كي يأخذه بيده و يطعمه إلى السّباع والطّيور ، ها هنا يسمّي الله عزّ وجلّ داوود عليه السّلام ويأخذ الحجر من (مخلاته) ويضعه في مقلاعه ثم يدير المقلاع ويرسله إليه ، فانطلق الحجر إلى خوذة جالوت ويدخل من موضع عينه وقيل من موضع أنفه فيخرج من الناحية الثانية فيقتله الله عزّ وجلّ فينهزمون و ينكسرون ، وينصر الله عزّ وجلّ هذه الفئة التي قيل أنها كان على يديها هذا العصر الذهبي لبني إسرائيل ، لأن سليمان جاء بعد داوود عليه السّلام.

نعم عباد الله هكذا يقدّر الله تبارك و تعالى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون ، ينبغي أن يكون يقيننا بالله عزّ وجلّ أنّ القوّة جميعاً بيده سبحانه ، بالأمس القريب أسمع أحدهم يقول هذا الذي يفعله المجاهدون في مصر و الجزائر إنّما هو مجرد حلم ، كلاّ والله ليس بحلم لأن هؤلاء يستمدّون قوّتهم من القويّ العزيز ، من بيده الأمر إذا أراده أن يقول له كُن فيكون.

﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾.

هكذا تظهر لنا حكمة الله عزّ وجلّ من اصطراع طاقات الناس ، قضت حكمة الله أن تختلف طاقات النّاس ؛ لأنها لو لم تختلف لتأسّنت الحياة و لتعفّنت ، هكذا يقضي المولى عزّ وجلّ أن تختلف اهتمامات النّاس وطاقاتهم ومشاربهم ومن ورائهم تمضي حكمة الله عزّ وجلّ كي تقرّر الخير والبركة والصّلاح في هذه الأرض ، ليس أغناماً ولا أسلاباً ولا أمجاد شخصية وإنّما هي لإقرار الأرض ، لا بدّ أن تبرز جماعة تقوم بهذا الواجب ، وتعلم أنها لو لم تقم بهذا الواجب لما نجت من عذاب الله عزّ وجلّ في الدّنيا ولا في الآخرة ، كي تحقّق الخير في الأرض.

يقول الرسول صلّى اله عليه وسلّم : (إن الله يدفع العذاب بمن يصلي من أمتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين) – ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم – ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله لذو فضل على العالمين ﴾.

يروي أبو بكر الخطيب –رحمه الله– من سنده أن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول في الحديث : (إن لله ملائكة تنادي كل يوم لولا عباد ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا).

–بمعناه من حديث الفضيل بن عياض–

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ وعليكم أن تعتبروا بمصارع القوم ، ونحن نرى المصارع هذه الأيام عياناً بياناً في كلّ لحظة ، فاعتبروا عباد الله

قد تزايلت أوصالهم وقد ذهبت أبصارهم و أسماعهم ما عادوا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاعتبروا عباد الله وكونوا على حذر .

اللّهم صلّ على محمّد و إنا نسألك يا ربّنا في هذا اليوم العظيم أن لا تدع لنا ذنباً إلّا غفرته ولا همّاً إلّا فرّجته ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الرّاحمين

اللّهم صلّ على محمّد و إنّا نسألك الهدى والتقى و العفاف و الغنى

اللّهم صلّ على محمّد و فرّج عن إخواننا المأسورين و فرّج عن شيخنا عمر عبد الرحمن وفرّج عن سائر شيوخنا يا أرحم الراحمين

اللّهم انصر إخواننا المجاهدين

اللّهم عليك بالقوم الظّالمين

اللّهم ارزقنا الشّهادة في سبيلك

اللهم انصر دينك و كتابك وعبادك المؤمنين

اللّهم صلّ على محمّد وإنّا نسألك يا ربّنا رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمرنا وتلمّ بها شعثنا وتردّ بها ألفتنا وتصلح بها غائبنا وترفع بها شاهدنا وتزكّي بها أعمالنا وتعصمنا بها من كلّ سوء

اللّهم أعطنا إيماناً ويقيناً ليس بعده كُفر ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدّنيا و الآخرة

اللّهم إنا نسألك الفوز بالقضاء ونُزُل الشهداء وعيش السّعداء و النصر على الأعداء ، ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة و قنا عذاب النّار آمين آمين .

وصلّى الله على النبيّ ، عباد الله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾.